يوري بوتشكاريف

حلف السنتو
و
التروستات البترولية

DS
62.85
.B6125
1960z

Hamad Khalifa

يوري بوتشكاريف

حلف السنتو
والتروستات البترولية

Hamad Khalifa

ولد يوري بوتشكاريف عـام ١٩١٩ . وهو من خريجي جامعة موسكو والمدرسة العليا الدبلوماسية ، وقد عمل موظفا في وزارة الخارجية ، ثم كان مـن عـام ١٩٥١ الى ١٩٦٣ رئيس باب أفريقيا واسيـا في مجـلة « الازمنة الحديثـة » الاسبوعية . وهو معلق في وكالة انباء نوفوستي .

Hamad Khalifa

في نيسان عام ١٩٦٥ كانت طهران مسرحا لرواية ديبلوماسية سميت « دورة روتينية لمجلس السنتو » . وهـذه الدورات تعقد كل عام في عواصم البلدان الاعضـــاء ، وهي واشنطن ، ولندن ، وأنقره ، وكراتشي ، وطهران ، ونظرا لان السنتو هو تحالف عسكري معد لحماية المصالح الامبريالية في منطقة شاسعة من مناطق اسيا، فان أنصار السلم ينظرون اليه بعين يقظة .

لقد جاءت دورة طهران بشيء جـــديد . وبادىء بدء توزيع المشهد : فبالاضافة الى وزراء خارجية البلدان الاعضـــاء ، ضمت الدورة سفراء دول منظمة حلف الاطلسي المعتمدين في طهران . وكان المستر دين راسك ناظر الخارجية الاميركي يطلب مساندتهم في النقاش مع مبعوثي البلدان الاسلامية للسنتو .

وطلب راسك الى تركيا ، وايران ، وباكستان أن تدعم ، ولو بالكلام ، الحرب التي تخوضها الولايات المتحدة في الفيتنام . وهذه المرة رفض وزراء البلدان الاسلامية ، وأعلنوا تأييدهم لتسوية سلمية للنزاع ، وذلك ما توجب ان ينعكس في البلاغ الختامي .

وكان السبب الثاني للخلاف العلاقات بين باكستان ، وتركيا ، وايران ، من جهة ، والاتحـــاد السوفياتي ، من جهـة أخرى . فالاميركيون يرون بأن تحسن هـــذه العلاقات مخـالف لمبادىء السنتو . لذلك فقد ألح راسك على ان تتخلص هـــذه البلدان الثلاثة من « حبهـا العاصف للسوفيـات » ، حسب تعبير أحـد الصحفيين . لكن ناظر الخارجية أخفق هذه المرة أيضا ، واعترض عليه بأن هذه « القصة » ليست منافية للاخلاق البتة .

ان غياب الوزير الباكستاني ، الـــذي كان يرافق حينئذ الرئيس الباكستاني في زيارته للاتحاد السوفياتي ، بدا لراسك نذير شؤم . وكان يعلم ، من جهة أخرى ، بأن وزير خارجية تركيا يحتفظ في حقيبته ببيان عن حكومتـــه تعلن فيه خروجها من السنتو . وهكذا كان يبـــدو تحقق نبوءات الصحفي الاميركي لامبرت الذي كان يقول عشية دورة طهران بأن السنتو « بدأ يتفتق من طرف ، ويتفكك من الطرف الاخر » . ونظرا لان ناظر الخارجية الاميركي لم يكن يريد أبدا أن يتحـدى المصير ، فانه قـد تخلى عن اللعبـــة .

على ان هذه النتيجـــة لا تثير الدهشة . وكان عـلى البلدان الاسلامية الاعضاء في حلف السنتو أن تسأم من هذا التحالف ، عاجلا أم آجلا . والواقع ان اشتراكها فيه لم يعطها شيئا ، نظرا لان المنظمة لم تكن منذ ولادتها تخدم مصـــالح تركيا وباكستان وايران ، بل فقط المصالح الامبريالية للولايات المتحدة وبريطانيا . ولاجل الاقتناع بذلك ، ما علينا سوى الرجوع الى تاريخ السنتو .

Hamad Khalifa

نشـــوء حلف بغـــداد

حتى الحرب العالميـــة الاخيرة ، كان الاستعمار البريطاني والفرنسي يسود بلا شريك على مناطق شاسعة تمتد من المغرب حتى الباكستان . وبعد أن أضعفتهما الحرب ، لم تتمكن بريطانيا وفرنسا من الصمود لحركة التحرر الجبارة التي أدت الى الاستقلال السياسي لاغلب بلدان هذه المنطقة من العالم .

الا أن ذلك لا يقلـــل من تشبث الـدولتين الاستعماريتين بمواقعهما الاستراتيجيـة في الشرق الاوسط . وكانت بريطانيا تريد على الاخص ان تحتفظ بقاعدتها في منطقة قناة السويس . وفي عام ١٩٥٣ ، كانت هذه تضم اكثر من ٨٠ ألف رجل ، ونقول بالمناسبة ، ان ذلك كان يزيد عشر مرات عما كـــانت تنص عليه المعاهدة البريطانية ـ المصرية . وفي هذه المنطقة ايضا كان يوجد المقر العام للقيادة البريطانية في الشرق الاوسط .

سراب « قيادة الشرق الاوسط »

كانت بريطانيا العظمى تأمل بالاحتفاظ بمواقعها الاستراتيجية فـي الشرق الاوسط بانشاء كتلة عسكريـة كان عليها أن تضم ، قبل كل شيء ، البلدان العربية . فاذا نجح المشروع ، فانه سيحل محل الاتفاقيات العسكرية الثنائية مع مصر ، والعراق ، والاردن،

معاهدة ثلاثية من شأنها ان تتيـــح لبريطانيا استخدام القواعد المقامة في هذه البلدان .

بيد ان لندن كانت تدرك بأن المساندة من قبل فرنسا وحدها لا تكفي لفرض هذا المشروع على البلدان العربيـــة ، التي كانت سمعة الدولتين الاستعماريتين لديها سيئة جدا . وعبثا تظاهرت لندن وباريس بالنـــدامة ، وعبثا تظاهرتا بالتخلـي بـ « محض مشيئتهما » عـــن ممتلكاتهما ، فان هذه السياسة لم تحـدث الاثر المطلوب .

ولننظر الان الى الولايات المتحدة ، فهي لم يسبق لها ابدا أن امتلكت مستعمرات في الشرق الاوسط ، وكانت ، في نظر الافريقيين والاسيويين ، مخاصمة للاستعمار . وكان على شهرة الولايات المتحدة هذه ان تغطي بريطانيا وفرنسا وتجعـل العرب يقبلونهما كحليفتين. ولم تكن « الفورين أوفيس ، والكي دورساي » (وزارتا الخارجية البريطانية والفرنسية) تجهلان الشهية الخطرة لدى العم سام ، لكنهما قبلتا بالتعاون مع الاميركيين .

وبعد أن حيت واشنطن المشروع البريطاني ، شرعت في عمل اعدادي اخر. وعهد بدور بلد مؤسس الى تركيا. وهكذا كان يبدو ان الكتلة تخدم ليس فقط مصالح الغرب ، بل أيضا مصالح بلدان الشرق الاوسط (أو على الاقل أحد هذه البلدان) .

في تشرين الاول عام ١٩٥١ وجهت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وتركيا مذكرات الى حكومات مصر وبلدان عربية اخرى، وهي مذكرات أطلقت فيها فكرة « قيـادة الشرق الاوسط » . فماذا كانت القضية حقا ؟ فاذا انضمت بلدان الشرق الاوسط الى الكتلة العسكرية الملصقة عليها بطاقة « قيادة الشرق الاوسط » ، كان عليها ان تضع قواتها المسلحة تحت رقابة « القيادة الحليفة » حيث يحتل الضباط الاميركيون والبريطانيون المراكز الاساسية.

وكان من شأن « القيادة الحليفة » ان تسيطر على الاهداف الاستراتيجية لتلك البلدان (المطـارات ، والمرافىء ، والطرق ، والسكك الحديدية) وكانت بلدانها ستفتح أمام القوات المسلحـة « الحليفة » . وبعبارة اخرى ، فان القوات الاميركية والبريطانية، وكذلك القوات الفرنسية والتركية القليلة العدد كانت ستتمركز

مجموعة من البلدان الابعد الى الشمال » ، ويعني بها الباكستان ، وتركيا وايران . وبالامكان جمع هذه البلدان في حلف عسكري سماه دالس « الحلقة الاولى أو المرحلة الاولى للدفاع » . وكان يقول : وبعد ذلك فقط ، ستنضم الحلقة الثانية اليها ، حيث ستدخلها البلدان العربية .

ودعا دالس الى ان تؤخذ في الحسبان الاخطاء التي ارتكبت لدى محاولة انشاء « قيادة الشرق الاوسط » ، والتي كان الخطأ الرئيسي منها ، حسب رأي دالس ، هو الكلام ، منذ البدء ، عن اشتراك الدول الغربية ، والمقصود هنا بريطانيا وفرنسا ، اللتان تعتبرهما شعوب الشرق الاوسط دولتين استعماريتين .

كان على « الحلقة الاولى » ان تستغني عن الاشتراك المباشر للدول الغربية . ويجب ان تتمكن الدول الاسيوية من ان تؤسس بذاتها منظمة دفاعية : أما الدول الغربية ، فانها تقوم بشد الخيوط . كان يراد اذن خداع شعوب الشرق الاوسط ، وتخدير يقظتها وجرها الى تحالف عسكري ذي نزعة ممالئة للغرب .

لم يكن دالس يجهل الصعوبات التي تنتظره . ففي الباكستان، لم تكن حكومة نظام الدين تتحرق البتة للانضمام الى الكتلة العسكرية . أما ايران مصدق ، فلم يكن ينبغي الاعتماد عليها . لكن دالس لم ييأس . ومنذ ربيع ١٩٥٣ ، بذل كل طاقته ، لاجل انشاء محور كراتشي ـ انقره ـ طهران .

وابتسم له الحظ . ففي ربيع ١٩٥٣ ، كانت الباكستان تجتاز فترة عسيرة نتيجة لمحصول سيىء . وطلب نظام الدين المساعدة الاميركية . ورفضت واشنطن تقديمها . وفي نيسان ، أبعدت الاوساط الباكستانية الممالئة للاميركيين نظام الدين ، وعهدت بتشكيل الحكومة الجديدة الى محمد علي ، السفير الباكستاني في الولايات المتحدة . ووصلت الاغذية في نفس الوقت مع الرئيس الجديد للوزارة .

وبعد أن تم اخضاع باكستان ، أعد ناظر الخارجية وشقيقه ألن دالس ، رئيس وكالة الاستخبارات الاميركية (السي.اي.آي) في آب ١٩٥٣ ، انقلابا في ايران . وأطيح بحكومة مصدق . وكان الرئيس الجديد للحكومة الجنرال زاهدي ينتسب الى المعسكر

ونستون تشرشل ودوايت ايزنهاور الذي كان قد انتخب لرئاسة الولايات المتحدة . وادت المحادثات الى صفقة كان عليها ان تحدد لسنوات طوال السياسة الغربية في الشرق الاوسط .

وافقت الولايات المتحدة على ان تتقاسم مع بريطانيا « مسؤوليتها » في هذه المنطقة ، أي أن تسويا معا جميع القضايا المتعلقة بالشرق الاوسط . ونظرا لان الشغل الرئيسي الشاغل للبريطانيين كان حينئذ النفط الايراني وقاعدة السويس ، فقد وعد الاميركيون البريطانيين بالاسهام في حل هذه القضايا لصالح الغرب (كذا !) . وهذا تغيير هام للتعبير ، ذلك لان الحديث عن مصلحة الغرب ، هو بالنسبة للولايات المتحدة ، الحديث عن مصلحتها الخاصة .

وقد ناقش ايزنهاور وتشرشل كذلك قضية التحالف العسكري في الشرق الاوسط . وبناء على الحاح شريكه ، تخلى تشرشل عن مشروع « قيادة الشرق الاوسط » ومنح واشنطن تفويضا كاملا بصدد اقامة تحالف عسكري في هذه المنطقة . وأصبحت الولايات المتحدة هي التي تقود اللعبة الان .

« المرحلة الاولى للدفاع »

في أيار عام ١٩٥٣ قام ناظر الخارجية الجديد جون فوستر دالس بزيارة مصر ، واسرائيل ، وسوريا ، ولبنان ، والعراق ، والعربية السعودية ، والهند ، والباكستان ، وتركيا ، واليونان ، وليبيا . ولدى أحاديثه مع السياسيين وكبار الضباط ، حاول دالس أن يستوضح أسباب فشل مشروع انشاء كتلة عسكرية في الشرق الاوسط وايجاد وسائل جديدة لحل القضية .

ولدى عودته الى واشنطن أعلن دالس بأن بعض بلدان الشرق الاوسط قد دللت على « رغبة غامضة في انشاء منظومة للامن الجماعي » واستبعد من بينها البلدان العربية التي « لا تهتم بخطر الشيوعية السوفياتية » . ولمح دالس الى انه « يعتمد على

في أراضي تلك البلدان .

السياسة هي فـــن الممكن . والمشروع المذكـور يثبت بأن الدبلوماسية الغربية لا تملك هذا الفن . والواقع انه قد عرض على بلدان الشرق الاوسط القبول بالاحتلال الاجنبي ، وبأن تصبح ، في أفضل الحالات ، تابعة للدول الغربية ، وفي أسوأها ، مناطق واقعة تحت وصايتها .

وقد ساعد الجهد الكبير الذي بذله الدبلوماسيون الغربيون على كشف الخفايا . فنبذت جميع البلدان العربية « قيادة الشرق الاوسط » ، رغم ان الدول الغربية كانت تتوقـع تساهل بعض الحكومات وتعتمد على هذا التساهل .

ومني المشروع بفشل مدو . وشجبتـه الشعوب بحزم . واقترحت واشنطن ولندن فـي عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٣ مشاريـع « منقحة » و « محسنـة » نبذتها بلدان الشرق الاوسـط جميعا بلا ابطـــاء .

الولايات المتحدة
تعيد بريطانيا الى المرتبة الخلفية

كان فشل مشروع بريطانيا ضربة قاسية لها . واستمرت مواقعها في الشرق الاوسط تضعف باستمرار . وقد كتب النائب العمالي ريتشارد كروسمان في اذار عام ١٩٥٣ : « لم يعد بامكاننا أن نفرض ارادتنا على بلدان الشرق الاوسط » .

لم تتمكن بريطانيا من الحيلولة دون تأميم النفط الايراني ، ولا الحيلولة دون قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ فـي مصر ، التي أنهت الحكم الملكي ، وسيلة النفوذ البريطاني . وأعلن الثوار المصريون بقيادة عبد الناصر ، بأوضح ما يمكن ، ارادتهم في الغـاء القاعدة البريطانية في منطقة قنـــاة السويس ، وتحقيق جلاء القوات البريطانية . وذهبت أدراج الرياح جميع المحاولات لاقناع المصريين بالعدول عن قرارهم .

وحين يئست لنـــدن ، استنجدت بواشنطن . ولم يتأخر الاميركيون في مد يدهم . وفـي بدء عام ١٩٥٣ جرى اللقاء بين

الممالىء للغرب . فكان بالامكان اذن التحـــدث معه عن « الحلقة الاولى للدفاع » .

في عام ١٩٥٣ أيضا ، حصـــل دالس مـــن الكونغرس على تفويض تام في توزيع المبـــالغ المخصصة للمساعـــدة العسكرية والاقتصادية لبلدان الشرق الاوسط . وفي خطابـــه في لجنة القروض التابعة لمجلس النواب ، طمأن دالس أعضاء الكـونغرس الى ان هذا المال سيستخدم لكسب « حلفاء » في الشرق الاوسط في اطار برنامج الامن الجماعي .

ونالت حكومة زاهدي مساعدة اقتصادية وعسكرية هامـة مقابل التزامات نحو الولايات المتحدة . الا انهـا رفضت الحديث عن كتلة ما ، ما دامت قضية النفط لم تحل بعـد . وقرر دالس حينئذ الاقتصار على محور أنقره ـ كراتشي الذي كان يأمل أن يضم اليه بالتالي ايران والبلدان العربية .

وبعد مفاوضات سرية طويلة ، وقعت تركيا والباكستان في ٢ نيسان ١٩٥٤ اتفاقية «للتعاون السياسي والاقتصادي والثقافي» . وقـــد استخدمت كلمتا « اقتصاد » و « ثقافة » لتمويه الطبيعة العدوانية للاتفاقية . وكانت المادة ٤ تنص ، الى جانب تبـــادل المعلومات في ميدان المعدات الحربية والمساعدة المتبادلة في انتاج الاسلحة والذخائر ، على « دراسة وتحـــديد وسائل ودرجات التعاون » في حالة الحرب . واثر ذلك ، أعلنت كراتشي وأنقـره تعاون هيئتي الاركان العامة في البلدين بغية وضع الخطط الحربية.

وكانت الاوساط الرسمية الباكستانية والتركية تتظاهر بأنها واضعة الاتفاقية ، وانها عقدتها دون ضغط خارجي . والواقع ، ان هذا العمل السيـــاسي الخطر كان من صنـــع الدبلوماسية الاميركية . وقد قالت صحيفة « النيويورك تايمس » دون مواربة في تلك الايام بأن الاتفاقية التركية ـ الباكستانية قد « حفزها » قرار واشنطن منح مساعدة عسكرية للباكستان ، وان هذه الاتفاقية تريد أن « تجعل من هـــذا البلد قاعدة أميركية » . وتم توقيع اتفاقية المساعدة الاميركية للباكستان في ١٩ أيار ١٩٥٤ .

لقـد أحرز دالس بانشائه محـور كراتشي ـ أنقره ، نصرا مزدوجا . أولا ، لقد حققت خطوة هامة في طريق انشاء « الحلقة

الاولى » ، وثانيا ، تحققت هذه الخطوة بدون بريطانيا بل وحتى بالرغم من مقاومتها السلبية . وشجع ذلك دالس ، فأعلن في حزيران عام ١٩٥٤ بأن اللعبة الاميركية في الشرق الاوسط « يجب أن تكون شخصية اكثر » أي أن تكون مستقلة ازاء لندن. لكن ناظر الخارجية بالغ هذه المرة في تقدير امكانات الولايات المتحدة لتقرير مصير العالم ضاربة بعرض الحائط مصالح الامم الاخرى .

حلف بغداد

كانت لندن تتابع بقلق عملية انشاء الحلف التركي ـ الباكستاني . وقد كتب دريو ميدلتون ، مراسل « النيويورك تايمس » في لندن ، في كانون الثاني ١٩٥٤ ، يقول بان الاوساط الرسمية البريطانية كانت مستاءة لرؤية « الدول الغربية تمارس في الشرق الاوسط سياستين متعارضتين » . وفي رأي ميدلتون ان حكومة بريطانيا كانت تجهل كل شيء عن المشاريع السياسية والعسكرية الاميركية بصدد ايران وتركيا والباكستان ، وكذلك مشاريع حكومة ايزنهاور بصدد انشاء التحالف العسكري مع اشتراك هذه البلدان .

ولم تكن الصحافة البريطانية تخفي عصبية لندن الرسمية ازاء العمل الاميركي في الشرق الاوسط . وقد كتبت جريدة « التايمس » اللندنية بأن بريطانيا كانت على حق بالقلق ازاء المحادثات التي من شأنها ان تربط أحد الاعضاء الرئيسيين في الكومنولث (الباكستان) بالولايات المتحدة ، مع العلم ان بريطانيا نفسها لم تقبل في هذا الحلف .

في نهاية عام ١٩٥٤ ، أشارت لندن وليس دون خبث الى ان محور انقره ـ كراتشي الذي أنشأه دالس كان يراوح الخطو : كانت جميع محاولات الولايات المتحدة لضم ايران والبلدان العربية اليه تفشل . وكانت البلدان العربية بين أكثر الدول مقاومة لهذا المشروع . لقد رفضت بالاجماع الاشتراك في التحالفات العسكرية الامبريالية . في نيسان ١٩٥٤ أعلنت اللجنة السياسية

للجامعة العربية في قرار لها بأن الدول العربية ترفض الانضمام الى الحلف التركي الباكستاني وانها تشجب موقف الولايات المتحدة لمحاولتها جر الدول العربية اليه .

ومع ذلك فقد عثر الاميركيون على نقطة الضعف لدى الدول العربية . فقد اشارت الطغمة الحاكمة في العراق ، بقيادة نوري السعيد ، نصير الملكية والعميل البريطاني ، الى انها ستنضم الى حلف انقره ـ كراتشي اذا ما ضمنت صيانة الحكم الملكي . في ذلك العهد كانت بريطانيا هي المسيطرة كليا في العراق . وكانت تريد استغلال الفرصة لاجل « التدخل ، حسب تعبير الصحافة اللندنية ، في منطقة النشاط الدبلوماسي للولايات المتحدة في الشرق الاوسط » .

في كانون الثاني ١٩٥٥ بعثت الحكومة البريطانية الى واشنطن شيكورغ ، وهو دبلوماسي عالي المرتبة ، بغية اجراء مفاوضات مع نظارة الخارجية . وعرض شيكورغ لمستشاري دالس الشروط التي يمكن بموجبها ان تساعد بريطانيا على كسب العراق الى فكرة كتلة عسكرية ممالئة للغرب في الشرق الادنى والاوسط .

وكانت هذه الشروط على شيء من القسوة .

كان على المنظمة العسكرية في الشرق الاوسط ان ترتكز لا على التحالف التركي ـ الباكستاني ، الموضوع تحت الرقابة المطلقة للولايات المتحدة بل على تحالف تركي ـ عراقي يعقد بمساعدة لندن . وكانت لندن تستأثر لنفسها بحق الانتساب الى هذا الحلف منذ تأسيسه ، لان القواعد العسكرية البريطانية كانت قائمة في العراق ، وان الغرب يجب ان يحتفظ بالاشراف عليها مهما كلف الامر. كان من المتوقع ان ينتهي أجل الاتفاقية الاستعبادية التي تملك بموجبها بريطانيا هذه القواعد عام ١٩٥٥ . فاذا اصبحت بريطانيا والعراق عضوين في كتلة عسكرية واحدة ، يغدو بالامكان وضع القواعد رسميا تحت سيادة بغداد ، في حين تحتفظ لندن بكامل الحق في استخدامها لاغراض عسكرية .

كانت واشنطن قليلة الحماسة . كان المشروع الانكليزي يناقض فكرة دالس الاساسية القائلة بأن الدول الغربية لا يجب ان تنضم رسميا الى الكتلة العسكرية في الشرق الاوسط لكي

لا تثير نفور العرب . وكانت بريطانيا بعد موافقتها على الغاء قاعدتها في منطقة قناة السويس تريد الاحتفاظ مهما كلف الامر بقواعدها في العراق والاردن . لذلك فقد أكدت لندن لواشنطن رغبتها في ضمان انتساب العراق وكذلك الاردن ولبنان وحتى سوريا الى الحلف .

قبلت الولايات المتحدة المشروع البريطاني باستثناء النقطة التالية . لقد رفضت الانضمام الى الحلف المقترح . كان الاميركيون يخشون وليس بلا سبب ان يؤثر الانضمام المكشوف الى حلف يناهضه كل العالم العربي تقريبا ، ان يؤثر على مكانة الولايات المتحدة . ومن جهة أخرى كانت الدبلوماسية الاميركية تريد ان تكون حرة اليدين لتجعل من العرب حلفاءها السياسيين والعسكريين بوسائل أخرى ، وخاصة بعقد اتفاقيات عسكرية ثنائية . اذن فدالس مع رفضه الانضمام قد وعد بكل مساعدة ممكنة .

لقد جرى توقيع الاتفاقية العسكرية التركية ـ العراقية في ٢٤ شباط ١٩٥٥ في بغداد . وتقرر ان تشكل هذه الاتفاقية الاساس الحقوقي لحلف بغداد الذي انضمت اليه بريطانيا في ٤ نيسان . وفي الوقت نفسه أعلنت بريطانيا الغاء اتفاقية عام ١٩٣٠ البريطانية ـ العراقية العسكرية ، التي استبدلت بها اتفاقية جديدة في اطار حلف بغداد . وقد بقيت القوات البريطانية في العراق لاقامة « تعاون وثيق ودائم بين القوات المسلحة للبلدين » . وقد وضعت قاعدتا الشعيبة والحبانية شكليا تحت تصرف العراق واحتفظت بريطانيا بحق استخدامهما في زمن الحرب والسلم على حد سواء . واحتفظ الجيش العراقي بمستشاريه البريطانيين . وهكذا فان الاتفاقية الجديدة لم تكن سوى نسخة عن الاتفاقية السابقة . والواقع ان بريطانيا مددت أجل اتفاقية ١٩٣٠ تحت ستار حلف بغداد .

في أول تموز عام ١٩٥٥ انضمت الباكستان الى الحلف وهي خطوة شكلية بحتة ، ذلك لان الباكستان كانت مرتبطة بالحلف عن طريق اتفاقيتها مع تركيا . وكانت اخر دولة انضمت الى الحلف هي ايران (تشرين الاول ١٩٥٥) . وقد سبب ذلك كثيرا من

المتاعب لواشنطن .

ان الجنرال زاهدي الذي خلف مصدق في رئاسة الحكومة الايرانية قد استسلم تحت ضغط الاميركيين والبريطانيين في مسألة النفط . بيد انه لم يتجاسر بالقيام بخطوة مشؤومة اخرى، وهي الانضمام الى حلف بغداد . وتمكنت واشنطن من استبداله بحسين علاء ، وهو سفير ايراني سابق في الولايات المتحدة . ثم جرى اللجوء الى أوقح أنواع الشانتاج .

في صيف عام ١٩٥٥ طلبت ايران من الولايات المتحدة مساعدة عسكرية ، وأفهمت واشنطن الايرانيين بأن « هذا الطلب سينظر اليه بعين أفضل اذا انضمت ايران الى حلف بغداد المدعوم من اميركا » (صحيفة سان اند تايمز الصادرة في شيكاغو) .

كان حسين علاء منذ البدء يؤيد الانضمام ولكن كان ثمة ضده تيار حيادي قوي نشأ في الاوساط الحاكمة بالبلاد ويتمتع بمساندة الرأي العام الايراني . وفي أيلول ١٩٥٥ أشارت الصحافة الايرانية الى انه « ازاء الضغط السياسي فان الحكومة تنظر بعين القلق الى الانضمام الى الحلف » .

في بدء تشرين الاول قام السفير الاميركي في طهران بزيارة حسين علاء وهدده بحدوث « انشقاق » في الجيش الايراني في حالة عدم انضمام ايران . واستغل انصار حلف بغداد هذا المسعى الفظ لممارسة ضغط على بلاط الشاه وأعلنت ايران قرارها بالانضمام الى الحلف .

وهكذا أصبح حلف بغداد يضم خمسة اعضاء (بريطانيا ، الباكستان ، تركيا ، ايران والعراق) وعضوا غير رسمي ، الولايات المتحدة .

في عام ١٩٥٩ بعد خروج العراق ، أطلق على حلف بغداد اسم السنتو (منظمة المعاهدة المركزية) .

Hamad Khalifa

ميثولوجية السنتو

بمبـادرة مـــن الغرب

سهر اباء السنتو في حب على سمعـــة ولدهم . وكانوا يفعلون كل شيء لاخفاء طبيعة المنظمة واجتـذاب عطف البلدان العربية عليها . وقد أنشئت مجموعة من الخرافات لاجل تضليل الرأي العام العالمي .

كان يقال ، مثـــلا ، ان حلف بغداد هو من عمـــل البلدان الاسلامية ، في حين ان الولايات المتحـدة وبريطانيا لم تقوما الا بمساندة هذه « المبادرة السلمية » . وانه لامر مفهوم ان باكستان وتركيا وايران والعراق لم تكن لتنضم الـى الحلف لو لم توافق حكوماتها . لكن الوقائع تثبت ان حلف بغداد ما كان ليوجد لولا مبادرة وجهود الدولتين الغربيتين الولايات المتحدة وبريطانيا . انهما ، وهما الحليفتان والخصمان في نفس الوقت ، قـد لجأتا الى الشانتاج ليفـرضا هذا التحالف عـــلى الشعوب : التركية والباكستانية والايرانية والعراقية .

تلك هي خفايا الخرافة الاولى للسنتو .

تحالف الفارس والمطية

ان الذين يزعمـــون ان الحلف هو « تشارك بين اعضاء

متساوين في الحقوق » يخلقون خرافة أخرى . أكيد ان جميع الاعضاء يتمتعون ، رسميا ، بنفس الحقوق . والمعاهدة الموقعة في بغداد تتحدث عن « الاطراف العليا المتعاقدة » . ان دورات مجلس المنظمة تعقد دوريا في عواصم البلدان الاعضاء ويتعاقب وزراء الخارجية على رئاسة الاجتماعات . لكن ليست هذه سوى مساواة نظرية .

عن أية مساواة عملية يمكن الحديث في تحالف عسكري يضم دولتين امبرياليتين كبريين وبلدانا اسلامية ضعيفة من الوجهة الاقتصادية والعسكرية ؟ ان الباكستان وتركيا وايران والعراق قد اصبحت بعد انضمامها الى السنتو تحت رحمة الولايات المتحدة وبريطانيا ، لا سيما في ميدان هام كتسليم الاسلحة ، ولولا المساعدة المالية الاميركية لما تمكنت تلك الدول من ان تكون لها القوات المسلحة المتضخمة بصورة غير طبيعية والتي تنص عليها برامج السنتو ، والموضوعة والمفروضة من قبل الضباط الاميركيين والبريطانيين الذين يقررون كل شيء في هيئة اركان المنظمة .

ان قانون السلامة الجماعية الذي بدأت الولايات المتحدة في اطاره تساعد عسكريا الباكستان وتركيا وايران يتطلب من الشركاء أن يساندوا سياسة واشنطن الخارجية . وبموجب هذا القانون طلبت الولايات المتحدة من تركيا ان ترسل قواتها الى كوريا واضطرت تركيا الى الامتثال .

لقد وضعت القوات المسلحة للبلدان الاسلامية الثلاثة تحت رقابة البعثات العسكرية الاميركية . ان الاسلحة المقدمة من قبل الولايات المتحدة لا يمكن استخدامها الا بموافقة الحكومة الاميركية. ومع ذلك فان الولايات المتحدة لم تشاور شركاءها في السنتو ، حينما شنت العدوان ضد الفيتنام . بل واكثر من ذلك فهي لم تطلعهم حتى مجرد اطلاع على الامر . وكذلك لم يشاور الاميركيون شركاءهم الاسلاميين عام ١٩٥٨ عند النزول في لبنان . ولم تر بريطانيا من الضروري معرفة رأي حلفائها حينما شنت عام ١٩٥٦ بالاشتراك مع فرنسا واسرائيل تدخلا مسلحا ضد مصر . ما أجمل هذه المساواة !

والجدير بالذكر ان بريطانيا ، بموجب المعاهدة الموقعة في بغداد ، لم تلتزم عمليا بتعهدات ازاء الباكستان وتركيا وايران والعراق . فما القول اذن عن الولايات المتحدة التي تفرض ارادتها مع بقائها في الظل ؟ ان واشنطن ولندن تتصرف ازاء شركائها الثانويين تصرف السلطان ازاء أتباعه .

ولا ننس التبعية الاقتصادية لباكستان وتركيا وايران والعراق قبل عام ١٩٥٨ ازاء البلدان النامية الغربية . فبلدان حلف بغداد الشرقية ذات تجارة متجهة بصورة اساسية نحو الغرب . وهي تستورد بالدرجة الاولى من الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية . وخلال سنوات عديدة كان الغرب المقدم الوحيد للمساعدة الاقتصادية بشكل اعتمادات وقروض . وفي خاتمة المطاف أصبحت الباكستان وايران وتركيا والعراق الملكي مستدينة .

ان الواقعة التالية تبين كيف ان الولايات المتحدة تستغل بلا خجل التبعية الاقتصادية من قبل شركائها .

حينما كانت الباكستان تضع مشروعها الخماسي الثاني طلبت قروضا من الولايات المتحدة ومن الكونسورسيوم العالمي للمساعدة الاقتصادية تحت الوصاية الاميركية ووافق الكونسورسيوم مبدئيا . ولكن حينما أرادت الباكستان في تموز ١٩٦٥ الحصول على هذه القروض ، أعلن الرئيس جونسون انه قد تقرر تأجيل اجتماع الكونسورسيوم الذي كان عليه البت نهائيا في طلب الباكستان وسارعت الصحافة الاميركية لتوضح للحكومة الباكستانية بأن الرئيس مستاء من سياسة الباكستان الخارجية لا سيما رفضها دعم الاميركيين في الحرب القذرة التي يخوضونها في جنوب شرقي آسيا ، وكذلك من اعادة علاقات الباكستان مع الاتحاد السوفياتي والصين الى حالتها الطبيعية .

ولم تستسلم الباكستان . لقد أعلنت حكومتها بأنها لن تعيد النظر في سياستها وانها ستجد مصادر اخرى للمساعدة .

هذا النزاع بالغ الدلالة على العلاقات داخل السنتو . وترى واشنطن ان سياسة الباكستان والبلدان الاسيوية الاخرى الاعضاء يجب ان تستجيب بالضرورة لمصالح وأهداف الولايات المتحدة

التي تتمسك بهذا الشعار : « الذي يدفع للعازفين هو الذي يقود الموسيقى » .

ان هذا يحبط جهود الدعاية الغربية التي تحاول ان تصور السنتو على انه « تشارك لاعضاء متساوين في الحقوق » . هناك حقا « تشارك » و « اعضاء » ، اما المساواة ... ان مجمل العلاقات بين الولايات المتحدة وبريطانيا وحلفائهما التابعين يسمح بالتفكير بأن السنتو هو من وجهة نظر هاتين الدولتين ، تحالف بين الفارس ومطيته ، وأداة لسياسة الغرب . فما هي هذه السياسة بالضبط ؟

فرع لمنظمة حلف شمالي الاطلسي

قد يبدو نص معاهدة بغداد غير عدواني للشخص غير المطلع . وتبرز المعاهدة أهدافها الدفاعية البحتة التي ليس فيها أي تهديد البتة للدول الاخرى . بل هي تستند الى شرعة منظمة الامم المتحدة التي ينص أحد بنودها على مثل هذه الاتحادات المنطقية ، بيد ان الطابع الدفاعي والمنطقي للسنتو هو ايضا خرافة.

والواقع ان المادة ٥٢ من الشرعة تسمح بعقد اتفاقيات منطقية لصيانة السلم والامن الشاملين طبقا لمبادىء وأهداف منظمة الامم المتحدة . الا ان هذه المادة لا يمكن ان تنطبق على هذه الحالة . وحتى لو ضربنا بالجغرافيا عرض الحائط لا يمكن ان يسمى السنتو منظمة منطقية ، أما مبادىء وأهداف الامم المتحدة فليست لها بها أية علاقة .

يضم السنتو أربعة بلدان : بريطانيا والباكستان وتركيا وايران . وبعد ان رفضت الولايات المتحدة ان تنضم عادت فدخلت عام ١٩٥٦ الى اللجنة الاقتصادية والى لجنة النشاطات الهدامة للسنتو . في العام التالي كان ممثلوها قد اصبحوا اعضاء في اللجنة العسكرية وفي القيادة العليا الاستراتيجية الموحدة . وابتداء من ١٩٥٨ كان وزراء الخارجية الاميركيون يشتركون في أعمال دورات المجلس .

اذن فان الولايات المتحدة ممثلة بصورة مباشرة في الهيئات

ان من حق كل دولة السهر على دفاعها واتخـــاذ التدابير المطابقة لذلك . ان دولة ذات سيادة تملك الحق الشرعي فـي عقد اتفاقيات عسكرية ومحالفات دفاعية مع الدول التي تناسبها كشريكة . وهذا الحق مكرس بوجه خاص من قبل ميثـاق منظمة الامم المتحـدة .

لكن تاريخ العلاقات الدولية يشهد بأن الاحلاف العسكريـة مع كونها عقدت بحجة الدفاع ، فانها كانت سبب الحربين العالميتين السابقتين . وكانت بعض الاحلاف « الدفاعية » تعتزم تهيئـــة الحرب دون ان تقر بذلك . وهكذا فان الشعوب تحذر الاتفاقيات التي من هذا النوع .

ان التحالف الدفاعي ليس مشروعا الا حينما يكـون بلد أو عدة بلدان مهددة بالعدوان . وفي حالة السنتو ، ليس ثمـة أي مبرر اطلاقا لادعاء صفة الدفاع .

انها كتلة معادية للسوفيات بصورة اساسية ، تجاه معتد محتمل يزعم انه الاتحاد السوفياتي . أفليس معلوما رغم ذلـك ان جميع جهود السوفياتيين تهدف الى تطور الاقتصاد والثقافة ، وايجاد مستوى معيشة مرتفع ، وان كل مطمع بالغزو غريب عنه ؟ الاتحاد السوفياتي بحاجة الى السلم . لقد أكدت أحداث ما بعد الحرب ذلك اكثر من مرة . ان الاتحاد السوفياتي لا يطمع فـي أراضي ولا ثروات الغير . وهو غني بما فيه الكفاية وليس محتاجا الـى مـدى .

في فترة انشاء حلف بغداد ، أعلنت الحكومـة السوفياتية اكثر من مرة الـــى الحكومات التركية والباكستانية والايرانية والعراقية بأن ما من أحد يهددها وان انشاء تحالف عسكري لا مبرر له اطلاقا ، وانه لامر ذو دلالة : ان الحكومات المذكورة لم تستطع في أجوبتها تعيين المعتدي المحتمل . بل اكتفت بذكر حقها كدول ذات سيـادة في تعزيز قدرتهـا الدفاعية . وهـي تبـريرات لا تقنـع أحـدا .

ان لافغانستان والهند ، والبلدان العربية المجاورة للباكستان وتركيا وايران كذلك الحق النابع من سيادتها بتعزيز دفاعهـا . وهي تكرس له مبالغ هامة . ومن جهة أخرى فان هـــذه البلدان

المركزية للسنتو المكلفة بصياغة الخطط الحربية وتنظيم النشاطات الهدامة في الشرق الاوسط . وقد كتب الصحفي الاميركي جون كامبل في « **الدفاع عن الشرق الاوسط** » (١٩٦٠) ان الولايات المتحدة قد أصبحت « عضوا فعليا في السنتو مع بقائها حرة حقوقيا من كل التزام » . هذا الوضع قد أتاح وما يزال يتيح للاميركيين المناورة حسب مشيئتهم في سياستهم ازاء الشرقين الادنى والاوسط .

يواصل الدبلوماسيون الاميركيون التأكيد بأن بلادهم ليست عضوا في السنتو ، والواقع ان الجميع يعرفون ان الولايات المتحدة تشترك في جميع نشاطاته وانها المسيطرة فيه .

ان القوات المسلحة الاميركية والبريطانية تحتل موقعا مسيطرا داخل السنتو . ويوجد الاسطول السادس الاميركي المجهز بالاسلحة الذرية داخل نطاق عمله . وهو قوته الضاربة .

وهكذا فان السنتو يضم بلدين من بلدان الشرق الاوسط ، ودولة من جنوب شرقي آسيا ، وبلدا أوروبيا غربيا وبلدا من اميركا الشمالية . لذلك فالذين يتحدثون عن طابعه المنطقي انما يستهزئون بالحس السليم وبميثاق منظمة الامم المتحدة .

ان السنتو هو منظمة عسكرية ثمرة الاستراتيجية الاجمالية للبنتاغون الذي يطمح الى تجميع جميع الدول غير الاشتراكية في منظومة موحدة من الاحلاف والارتباطات العسكرية تحت اشراف الولايات المتحدة . والخطوة الاولى في هذا الاتجاه كانت تشكيل منظمة حلف شمالي الاطلسي التي تشمل بلدان اوروبا الغربية ، واميركا الشمالية ، وحوض المتوسط الشرقي . ثم أنشئت منظمة حلف جنوب ـ شرقي آسيا (المؤلفة من الولايات المتحدة ، بريطانيا، فرنسا ، الباكستان ، الفيليبين ، التايلاند ، اوستراليا ، زيلاندة الجديدة) . وكان في المنظومة «ثغرة» في الشرق الاوسط ، وهي ثغرة كان على السنتو في رأي دالس ان يسدها . وقد كتبت الصحافة الاميركية في ذلك العهد بأن هذا الحلف كان يشكل مع منظمة حلف شمالي الاطلسي في الغرب ومنظمة حلف جنوب ـ شرقي آسيا في الشرق ، سلسلة تشمل المعمورة .

ان واقع كون الولايات المتحدة وبريطانيا تشتركان معا في

السنتو وفي منظمة حلف شمالي الاطلسي ومنظمة جنـــوب ـ شرقي آسيا يشهد بالصلة العضوية بين هذه الاحلاف العسكرية. ومن جهة اخرى ، فان تركيا منضمة الى السنتو والى منظمـة حلف شماليالاطلسي ، والباكستان الى السنتو والى حلفمنظمة جنوب ـ شرقي اسيا. وهذهالاحلاف تترابط لتشكل كلا واحدا. وما يميز بينها انما هو وظائفها الاستراتيجية المختلفة . واذا كانت منظمة حلف شمالي الاطلسي هي قاعدة المنظومـة الاستراتيجية والعسكرية للامبريالية ، فان السنتو ومنظمـة حلف جنـوب ـ شرقي اسيا هما حلقتان رئيسيتان من حلقاته .

بعد ان انسحب العراق من حلف بغـــداد عثرت السلطات العراقية في مقر قيادته العامة في بغداد على وثائق هامـة ، ولا سيما النصوص التي تعالج انشاء قيادة موحدة للحلف والوسائل لاقامـــة اتصالات بين هذه القيـــادة وبين منظمة حلف شمالي الاطلسي . وقد جاء في نشرة شبه رسمية صادرة فيطهران وهي « صدى ايران » ان جلسة السنتو في لندن التي عقدت في نهاية ١٩٥٨ كانت مكرسة في جملة ما كانت مكرسة له لقضية وسائل كيفيات الارتباط الجديدة بين قواته والقوات المسلحة للولايـات المتحدة في الشرق الاوسط ، وكذلك مع قواتمنظمة حلف شمالي الاطلســي .

ان السنتو ، الـــذي أسسه الاميركيون والانكليز لتحقيق أهدافهم الامبريالية في الشرق الاوسط ، هو فرع من منظمـــة حلف شمالي الاطلسي في هذه المنطقة من العالـم . ومن وجهة النظر هذه يمكن وصفه فعليا بأنه تحالف منطقي . بيد ان هـذا التحالف « المنطقي » لا صلة له البتة بالجغرافيا ولا بميثاقمنظمة الامم المتحدة .

الخرافة الاشد خطرا

رأينا اذن من الذي انشأ السنتو ومن الذي يسيطر عليه . فما هي أغراضه ؟ الجواب الرسمي هو التالي : انه منظمة دفاعية. وهذه خرافة جديدة .

لا تنضم الى كتل عسكرية ، ولا تعقد اتفاقيات عسكرية ثنائية مع الدول الامبريالية . ولنذكر من جهة اخرى بأن انشاء السنتو هو الذي دفعها الى القيام بسباق نحو التسلح مسبب للخراب .

لا شك في ان لتركيا وباكستان وايران الحق بالاتحاد داخل تحالف دفاعي ، لكن واقع كون هذا التحالف يضم الولايات المتحدة وبريطانيا يشكل خطرا بالنسبة للبلدان المجاورة . ولا حاجة لتعداد جميع الاعمال التي ارتكبتها هاتان الدولتان منذ نهاية الحرب الاخيرة لكي يفهم المرء انهما باقامتهما احلافا عسكرية فانهما لا تفكران في الدفاع .

عند انشاء منظمة حلف شمالي شرقي اسيا والسنتو ، اضطلع دالس بهدف « كبح الشيوعية » . وهذا الشعار كان يعني القيام باستعدادات حربية عدوانية ، بالدرجة الاولى ، ضد العالم الاشتراكي . وكان مقدرا للضربة الرئيسية ان تنزل بالاتحاد السوفياتي . اذن فقد كان دالس بحاجة الى قواعد للعمليات قرب الحدود السوفياتية . وهكذا كان يريد انشاء « الحلقة الاولى » الدفاعية باشتراك الباكستان ، وتركيا ، وايران، والعراق الملكي . وكان مقدرا ان تكون هذه المناطق نقطة الانطلاق لعدوان ضد بلاد السوفيات .

لقد كتبت « **الوول ستريت جورنال** » في فترة عقد حلف بغداد ان سلسلة « الاعشاش » لقاذفات القنابل الذرية الاميركية ستلتف حول روسيا بعد تكوين القواعد العسكرية في ايران والباكستان . وقد تنبأت « **النيويورك هيرالد تريبيون** » بأن الباكستان ستكون قاعدة جيدة لقاذفات القنابل الاميركية التي ستهبط فيها بعد الغارات على المراكز الصناعية في اسيا السوفياتية .

ان النزعة المغامرة في خطط دالس قد أطلقت ألسنة الصحفيين الذين وصل بهم الامر الى حد الاعتراف بالطابع الهجومي لحلف بغداد . لقد لاحظت جريدة « **النيويورك تايمز** » بصورة خاصة بأن تركيا أخذت تصبح « رأس جسر لاعمال هجومية » . وأكدت جريدة « **وطن** » التركية ذلك معلنة بأن تركيا، حسب المشاريع الاستراتيجية للبنتاغون سوف تهاجم بالاتجاه

الشمالي الغربي أي ضد بلغاريا ، وابتداء من اذربيجان الايرانية أي ضد بلاد عبر القفقاس السوفياتية .

ولحسن حظ الباكستان وتركيا وايران وكذلك الولايات المتحدة الاميركية فان قدرة الاتحاد السوفياتي المتزايدة قد أفهمت الرؤوس الملتهبة في اميركا بأن « كبح » الشيوعية يمكن أن ينتهي بخراب تلك البلدان . وجرى ابدال صيغة الكبح المليئة بالادعاء بشعار اكثر تواضعا « اقامة حاجز » . وهكذا وضعت في المرتبة الاولى مهمة الحيلولة دون التقارب بين الدول الاشتراكية والعالم الثالث . وكان على السنتو ان يصبح حاجزا على طريق هذا التقارب . لكن الاتحاد السوفياتي حسب قول الصحافة الغربية ، اجتاز هذا الحاجز باقامة علاقات صداقة وتعاون مع البلدان العربية ثم تحول ، أي الاتحاد السوفياتي ، الى هذا الحاجز نفسه بمحاولته اقامة علاقات مماثلة مع باكستان وتركيا وايران.

ان أهداف السنتو والاحلاف الغربية العدوانية لم تكن تقتصر على اعداد الحرب ضد البلدان الاشتراكية ، وقد بدأت الاقوال حول « كبح » و « حجز » الشيوعية تخفي هدفا اكثر واقعية ، وهو مكافحة حركة التحرر الوطني لشعوب افريقيا واسيا بما في ذلك شعوب الشرق الاوسط .

كلب حراســـة لملوك البتـــرول

منذ وقت طويل والشرق الاوسط هدف التوسع الاستعماري للدول الغربية . وحتى الحرب العالمية الاولى ، كان لهذه المنطقة على الاخص أهمية استراتيجية . وكان احتلال مصر يفتح طريق افريقيا الوسطى ، وكانت فلسطين أقصر طريق نحو فارس والهند واندونيسيا .

ومع اكتشاف النفط في بـــلاد العجم (في مطلع القـرن العشرين) أصبح الشرق الاوسط بالنسبة للدول الغربية احتياطيا للذهب الاسود . والواقع ان مكامن النفط في هذه المنطقة بالغة الغنى . وحسب رأي الاختصاصيين ، فان رمال البلدان المجاورة للخليج الفارسي تضم ثلثي موارد النفط في العالم الرأسمالي . وما من منطقة في العالم الرأسمالي يزداد فيها انتاج النفط بمثل سرعة ازدياده في الشرق الاوسط . لقد كان انتاجه (بأرقـــام مدورة) ٢٧ مليون طن عام ١٩٤٥ ، و ٨٨ مليونا و ٥٠٠ الف طن عام ١٩٥٠ ، و ١٦٢ مليونا عام ١٩٥٥ ، و ٣٨٣ مليونا و ٥٠٠ الف طن عام ١٩٦٤ .

مصدر الارباح المفرطة

منذ البدء كان نفط الشرق الاوسط موضوع صراع حاد . في البدء تصارعت حوله بريطانيا والمانيا ، وبعد هزيمة المانيا في

الحرب العالمية الاولى تخلت عن المعركة تاركة الانكليز يحتكرون انتاج النفط في الشرق الاوسط . وسرعان ما اضطرت بريطانيا لمجابهة التروستات الاميركية . وكانت تريد التخلص منها بأن تقدم لها جزءا من الانتاج العراقي . لكن الشهية تأتي أثناء الاكل. فالاحتكارات الاميركية بعد ان ذاقت « نفط الشرق الاوسط » أخذت تطلب المزيد منه باستمرار .

وكذلك فان الشركات العاملة في الشرق الاوسط تستثمر مكامن مناطق اخرى رأسمالية . وتقدم تقاريرها السنوية معطيات اجمالية دون تحديد حصص المناطق . وهي لا تسمح الا بصعوبة بتكوين فكرة عن الارباح المحققة في الشرق الاوسط . ومع ذلك فان الصحافة الغربية تنشر بعض الارقام .

وهكذا فان « **امبراطورية نفط كونور** » الصادرة عام ١٩٥٦ في الولايات المتحدة تشير الى ان الستاندرد أويل أوف كاليفورنيا الاميركية قد حققت من عام ١٩٤٨ الى ١٩٥٤ من ممتلكاتها الاسيوية (يتعلق الامر على الخصوص بالشرق الاوسط) ٦٤٥ مليون دولار ، وفي عام ١٩٥٤ وحده ، بلغت ارباحها ١١٧ مليون دولار مقابل ١٣ مليون دولار موظفة ، أي بربح ٩ دولارات في كل دولار موظف .

وحسب قول صحيفة « **وول ستريت جورنال** » بلغ الربح الصافي لتروست آرامكو، الذي احتكر انتاج النفط في العربية السعودية ٢٧٠ مليون دولار ، في عام توقيع حلف بغداد (١٩٥٥) .

ومنذ ذلك الحين ، ازداد انتاج نفط الشرق الاوسط بمقدار ١٥٠ ٪ ، وازدادت بالتالي ارباح شركات النفط . وكان الربح الصافي لشركة « كويت اويل كومباني » الانكلو اميركية ٥١٠ ملايين دولار عام ١٩٦٣ .

هذه الارباح المفرطة تفسر على النحو التالي : أولا ، ان طبقات النفط حسنة الوضع وقريبة من سطح الارض . لذلك فالتوظيفات تكون قليلة . ثانيا ، وذلك هو الشيء الاساسي ، ان عمل العمال الايرانيين والعرب يكلف أقل بكثير ، مثلا ، من عمل العمال الاميركيين . هذان العاملان يحددان سعر الكلفة المنخفض لنفط الشرق الاوسط بالمقارنة مع نفط اميركا الشمالية او فنزويلا .

ولم يكن لسعر الكلفة القليل الانخفاض ان يعود وحده بأرباح عالية الى هذ الحد ، لولا وجود العامل الثالث : ان اكثر من ٩٠ ٪ من نفط الشرق الاوسط تسيطر عليه سبعة تروستات كبرى مجتمعة في كارتيل عالمي ، ويضم هذا الكارتيل شركتين بريطانيتين (بريتش بتروليوم كومباني ورويال دوتش شل) وخمسة احتكارات اميركية (الستاندرد اويل اوف نيو جرسي ، وستاندرد اويل اوف كاليفورنيا ، والتكساس اويل ، وسوكوني موبيل اويل ، وغولف أويل كوربورايشن اوف اميركا) . ويسميها الصحفيون أحيانا السبعة الكبار .

ان السبعة الكبار تسيطر على مجموع الموارد النفطية للعالم الرأسمالي ، تقريبا ، وكذلك على اسواق النفط ومشتقاته . وهي تحدد الاسعار التي تجهد لابقائها عند المستوى الاقصى .

وسعر كلفة النفط لا يؤخذ في الحسبان . ويباع النفط الاميركي ونفط الشرق الاوسط بنفس السعر ، مع ان الفرق في سعر الكلفة يبلغ أحيانا عشرة دولارات في الطن . وهكذا فان نفط الشرق الاوسط يعود بعشرة أضعاف نفط اميركا الشمالية.

لذلك يجتذب نفط ايران والبلدان العربية الاحتكارات كما يجتذب العسل الذباب . وهو موضوع صراع ضار . ويسبب أهراق الدماء . والسنتو هو ايضا يشم النفط عن بعد مئة فرسخ.

ضحايا « الهجوم على الذهب الاسود »

منذ نصف قرن ، والصراع من أجل النفط يحدد سياسة الغرب في الشرق الاوسط . وهو يستمر على جبهتين : بين الاحتكارات البريطانية والاميركية وبين امبريالية هذين البلدين وحركة الشعوب المناضلة من اجل استقلالها السياسي والاقتصادي.

لقد أصابت الولايات المتحدة بالضربة القاضية منافسها البريطاني . ومحاولات بريطانيا للاحتفاظ بحصتها كاملة لم تنجح : فبعد أن نفذت الاحتكارات الاميركية الى صناعة العراق النفطية ، وضعت يدها تدريجياً على نفط العربية السعودية ونصف نفط الكويت . ثم جاء دور صناعة النفط في ايران ، التي ظلت

طـــوال ثلاثين عاما الحكـــرة الخاصة لشركة الانكلو ـ ايرانيان كومباني البريطانية . وهذه الطريقة مميزة تماما للعلاقات الانكلو اميركية . ومن اجل ان تقوم واشنطن بـــدور الحكم في النزاع البترولي ، الذي تجسد خاصة في تصفية حكومة مصدق ، فانها، أي واشنطن ، قد طلبـت « أتعابا » هائلة : كان يجب التخـــلي للتروستات الاميركية الكبرى عن ٤٠ ٪ من اسهم الكونسورسيوم الذي يحتل اليوم الوضع المسيطر في انتاج النفط الايراني .

ان هجوم الولايات المتحدة فـــي حرب النفط في الشرق الاوسط قد وضع تحت سيطرتها ٦٠ ٪ من الوقود المستخرج في هذه المنطقة . ولم تعد حصة بريطانيا تشكل سوى ٣٠ ٪ ، وذلك يعني ان حصة الاسد تعود للتروستات الاميركية .

كانت حكومتا الولايات المتحدة وبريطانيـا تخوضان صراعا لا رحمة فيه بينهما . وكان عملاء وكالة الاستخبارات الاميركيـة والانتليجنس سرفيس يتحاربون بجميـع الاسلحة : الانقلابات ، والاغتيالات ، والشانتاج ، والرشاوى ، وسائر الطرائق المستخدمة لتلبية جشع طواغيت الوول ستريت وحي السيتي الفظيـع الى الارباح .

ولنذكر من بين ضحايا « الهجوم نحـــو الذهب الاسود » الجنرال رازمارا ، رئيس وزراء ايران ، والملك عبد الله ملك الاردن وابنه طلال الذي أعلن الانكليز اعتبـاره مجنونا بسبب ممالأتـــه للاميركييـــن .

وفي عام ١٩٥٠ وحده ، شهدت سوريا ثلاثـــة انقلابات . كانت الاحتكارات الاميركية تريـــد ان تبني في هذا البلد خط أنابيب لاجـــل نقل نفط العربيـــة السعودية نحو البحر الابيض المتوسط . وبعد أن نالت موافقة الزعيم حسني الزعيم ، حملته الى الحكم في اذار ١٩٥٠ . وبعد ذلك بعدة أشهر ، أعدت الدوائـر السرية البريطانية مؤامرة ضد الزعيم . فقتل هذا وتولى السلطـة الزعيم الحناوي ، الذي عارض انشاء خط الانابيب . ومرت بضعة أشهر ، فأطاح العقيد أديب الشيشكلي ، المرتبط بالاميركيين ، أطاح بالحناوي ، وسمح ببناء الخط .

في عام ١٩٥٦ كتبت صحيفة ((صن أند تايمس)) الصادرة

وقالت : « يريد الانكليز المحافظة على نفوذهم في المنطقة الممتدة من عدن على طول شاطىء شبه الجزيرة العربية وعبر امارات عمان، حتى قطر والبحرين الغنية بالنفط ، والكويت بمناطقها النفطية الجبارة » .

ولزمت الصحيفة الصمت بتواضع حول واقع ان الولايات المتحدة لم تكن أقل اهتماما بتعزيز مواقعها في بلدان الشرق الاوسط الغنية بالنفط ، وان السنتو يفيدها ، بالتالي ، مثل افادته منافسيها البريطانيين .

في جميع أعمالها العدوانية ضد حركة تحرر شعوب الشرق الاوسط ، كانت الدول الغربية تخص السنتو بدور ممتاز ، ولا سيما للبلدان الاسلامية .

ان الوثائق التي ضبطت في القيادة العامة لهذه المنظمة بعد الثورة العراقية كانت تتضمن خططا تفصيلية للهجوم على بعض البلدان العربية لاجل الاطاحة بحكوماتها الوطنية . وقد ضبطت ، من جملة ما ضبطت ، خطط لاحتلال سوريا من قبل العراق الملكي وتركيا .

لقد أصبحت سوريا ، بعد أن وضعت انتفاضة شعبية فيها الحد لحكم الدمية الاميركية الشيشكلي ، كابوسا بالنسبة للامبرياليين . وكان يشغل هؤلاء بصورة خاصة خط الانابيب الذي يمر عبر سوريا . وكان قلقها له ما يبرره تماما : فأثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦ ، نسف الوطنيون السوريون خط انابيب النفط في عدة مواضع .

وكان أفضل حل في نظر الامبرياليين، لـ «المشكلة السورية» ، هو انضمام هذا البلد الى حلف بغداد . وحققت أول خطوة في هذا الاتجاه عام ١٩٥٥ ، عقب توقيع المعاهدة العراقية ـ التركية. وسارت واشنطن وانقره يدا بيد . ووجهت الحكومة التركية الى الحكومة السورية ثلاث مذكرات تطلب فيها ، بكل صراحة ، من سوريا أن « تعدل » سياستها . ولكي تكون تركيا « اكثر اقناعا » فانها حشدت جيوشها على الحدود الجنوبية مع سوريا . ودعت صحيفة « دنيا » التركية سوريا لـ « القبول بالامر الواقع والانحناء » . وفي الوقت نفسه فان مذكرة أرسلتها نظارة

والوهلة الاولى فقط يبدو ان النزاع بين بريطانيا وبلدان الشرق الاوسط أمر لا مخرج منه . فبالامكان وضع حد له دون مس المصالح المشروعة للجانبين . ولاجل ذلك يجب ان تتخلى بريطانيا عن امتيازاتها وتشتري نفط الشرق الاوسط كما تشتري، مثلا ، القطن المصري ، والقمح الاسترالي ، والخشب الكندي ان السويد ، وايطاليا ، والجمهورية الاتحادية الالمانية ، لا تملك هي ايضا من جهتها ، مكامن نفطية ، مع انها ليست أقل حاجة اليها من بريطانيا . ان هذه البلدان تشتري المنتجات النفطية . وسيكون بوسع بريطانيا جيدا جدا شراء النفط من ايران والبلدان العربية . ولا يمكن الشك في ان النفط سيصل في هذه الحالة، لان الكويت ، مثلا ، التي تستخرج اكثر من ١٠٠ مليون طن من النفط سنويا ، لا بد لها من ان تبيع هذا النفط .

واذا كانت مشكلة نفط الشرق الاوسط لم تحل حتى الان بصورة معقولة ، فانما تقع جريرة ذلك على الشركات البريطانية والاميركية التي لا تطمح الا الى الارباح. والحال ، فلاجل الحصول على أرباح مرتفعة ، من الضروري قيام سيطرة مباشرة على ينابيع النفط ، وكذلك على الامتيازات التي لن تتخلى عنها هذه الشركات بأي ثمن كان .

ان دور واشنطن ، في هذا المجال ، ليس لامعا بالمرة. وبخلاف بريطانيا ، فان الولايات المتحدة تنتج زهاء ٤٠٠ مليون طن من النفط . والاستهلاكات الاميركية لا تحتاج مطلقا ، بالاجمال ، الى نفط الشرق الاوسط . وهكذا ، فلاجل تبرير ادعاءاتها ، لا تستطيع الولايات المتحدة ان تقدم حججا مماثلة لحجج بريطانيا، وان كانت هذه زائفة ايضا .

براثن السنتو

في معرض التعليق على أعمال الدورة الاولى لمجلس حلف بغداد التي عقدت في تشرين الاول عام ١٩٥٥ ، أشارت صحيفة « **النيوز ويك** » الاميركية الى ان الوظيفة الرئيسية لهذه المنظمة العسكرية هي الدفاع عن الموارد النفطية في الخليج الفارسي ،

في شيكاغو ، بصدد عدم الاستقرار السياسي في الشرق الاوسط : « وراء جميع مطامع الاطراف الموجودة ، ووراء جميع المشايخ والسلاطين ، والحدود الجديدة والقديمة ، يختبىء العامل الرئيسي : الصراع بين الولايات المتحدة وبريطانيا من اجل مكامن النفط غير المستكشفة » . ولم تخل كذلك الصحف البريطانية من اعترافات من هذا النوع .

مشكلة ليست كذلك

ان الصراع بين الاميركيين والانكليز على موارد نفط الشرق الاوسط كان يجري في جو حركة واسعة جدا للتحرر الوطني . ويدرك الامبرياليون جيدا جدا ان هذه الحركة تهدد مواقعهم السياسية والاستراتيجية وكذلك الاقتصادية . فتأميم النفط الذي قام به مصدق كان يمكن ان يتخذ مثالا لبلدان اخرى .

وأصيبت الصحف البريطانية والاميركية بالذعر الشديد . « ان نفط الشرق الاوسط هو ضمانة وجودنا » . تلك هي المفكرة المفضلة في الدعاية الانكلو اميركية ، ولا سيما في الصحافة البريطانية . وكانت هذه الصحافة تتحدث عن الخطر الذي سيشكله بالنسبة لبريطانيا فقدان السيطرة على نفط ايران والكويت والعراق : اقفال الكثير من المصانع ، وملايين العاطلين عن العمل ، والفوضى ، والاضطرابات الاجتماعية .

والواقع ان وقف الارساليات الواردة من الشرق الاوسط سيكون ضربة قاسية للاقتصاد البريطاني . ولكن لماذا تنسى بريطانيا ان هذا النفط يستخرج في ايران والبلدان العربية وانه، اذن ، ملك هذه البلدان ؟ ان بيع النفط يجب ان يفيد بلدان الشرق الاوسط . وهذا المال ضروري بالنسبة لها من اجل تطوير اقتصادها . والحال ، فان الحصة التي تنالها هذه البلدان لا تشكل سوى نصف المداخيل ، والاحتكارات النفطية تتمكن من تخفيضها بمختلف انواع المناورات . وتدل الحسابات على ان بلدان الشرق الاوسط لا تتلقى في أفضل الحالات سوى ثلث الارباح . وليس هذا شيئا عاديا ، بل انه نهب وقح .

الخارجية الاميركية الى دمشق ، طلبت جهارا ان تنضم سوريا الى حلف بغداد .

ولم يتوقف الشانتاج الا بعد بيان الحكومة السوفياتية الذي فضح المؤامرة على سوريا ، وحذر من ان الحكومة السوفياتية ستعرض المسألة امام منظمة الامم المتحدة ، وأبدى استعداد الحكومة السوفياتية للدفاع عن سيادة البلدان العربية .

لدى مهاجمة بريطانيا مصر عام ١٩٥٦ ، طلبت الى تركيا والباكستان وايران والعراق دعم عملها العدواني . بيد ان موجة السخط التي ثارت عبر العالم ، وشجب عمل بريطانيا وفرنسا واسرائيل من قبل مجمل اعضاء منظمة الامم المتحدة، تقريبا، وموقف الاتحاد السوفياتي الذي لا التباس فيه ، واستياء الاميركيين الذين كانوا يخشون ان تعزز بريطانيا ، في حالة انتصارها ، تعزيزا كبيرا مواقعها في الشرق الاوسط ، قد شلت منظمة حلف بغداد. ومع ذلك تمكنت لندن من استخدام قواعدها في العراق ضد مصر .

وأخرج حلف بغداد براثنه مرة أخرى مجددا في صيف عام ١٩٥٨ حين نشبت انتفاضة في لبنان ضد حكم شمعون ، صنيعة الاميركيين . وحين أخذ حكم شمعون ينهار من جميع جوانبه ، قررت واشنطن ولندن ان على البلدان الاعضاء في حلف بغداد أن تخف لمساعدته . وقد تحدث الصحفي دريو بيرسون ، الواسع الاطلاع على تصرفات نظارة الخارجية ، في ٢١ أيار ١٩٥٨ في صحيفة « واشنطن بوست اند تايمس هيرالد » عن المحادثات السرية الخاصة بارسال قوات الى لبنان من البلدان الاسلامية الاعضاء في الحلف ، لا سيما من تركيا والعراق . وأعلنت القيادة الاميركية عن استعدادها لان تضع تحت تصرف بغداد وانقره طائرات لنقل القوات الى بيروت .

كان رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد حينئذ في لندن. وبعد مفاوضات سرية مع الحكومة البريطانية ، استقل الطائرة الى اسطنبول ، حيث كان ينبغي عقد مؤتمر . الا ان لندن وواشنطن كانتا تضغطان على شركائهما . وأمر نوري السعيد احدى أفضل فرقه بدخول الاراضي اللبنانية .

وحين تلقى الزعيم عبد الكريم قاسم ، قائد اللواء ، هـذا الامر ، طلب أسلحة اضافية . وحين لبي طلبه ، زحف ليس على بيروت ، بل على بغداد ، حيث ضرب بمسانـدة الشعب ، حلف بغداد ضربة الموت .

هذه الوقائع تثبت ان الامبرياليين يستخدمون السنتـو للنضال ضد حركة تحرر شعوب الشرق الاوسط ، لا سيمـا البلدان العربية . وهذه المنظمة تشكل تهديداً دائما لاستقلال هذه البلدان وسلامتها . وهي تسمم الجو السياسي ، وتنشر الشقاق بين الدول . وما من بلد مـن بلدان الشرق الاوسط سيحس بالطمأنينة ما دام سيف ديموقليس هذا مسلطا فوق رأسه .

الانهيـــار

حلف بغداد بدون بغداد

ان انتفاضة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، التي وضعت حدا للنظـــام الملكي في العراق ، قد أثارت ذعر الامبرياليين .

كان العراق الملكي أمتن قلعة للغرب في الشرق الاوسط . وكان ، أي العراق الملكي ، مرتبطا بالبلدان الغربية بحلف بغداد ، وبالتحالف العسكري مع بريطانيا ، وبوجود قاعدتين بريطانيتيـــن في أراضيه . ان سيطرة الولايات المتحدة وبريطانيا على الجيش العراقي ، المجهز بالمعدات البريطانية والاميركية ، كانت تبـــدو مطلقة . ولم يكن ثمة من شك في اخلاص الزمرة التي كان يرأسها الملك فيصل ، وخاله عبد الاله ، والملك الحقيقي للبلاد ، نـــوري السعيد . وها هو النظام المتعفن ينهار بغتة مثل قصر من الورق هبت عليه الريح .

ان خسارة الحليف العراقي ، وهي خسارة أليمة في حد ذاتها ، قد عرضت للخطر ، بالاضافة الى ذلك ، وجود حلف بغداد ذاته . لقد كان العراق حجر الزاوية في نظام الغرب الاستراتيجي في الشرق الاوسط . وقد نشأ حلف بغداد على أساس المعاهدة التركية ـ العراقيـــة التي انضمت اليها دول أخرى . وبعد أن شجبت الحكومة الثورية العراقية المعاهدة على الفور ، حرم الحلف

« ملكية اكثر من الملك » ، كانت تواجه النكبة بالبشاشة وتصر على المطالبة بالاطاحة بالنظام الثوري بالقوة .

كانت دورة لندن أول دورة للحلف اشترك فيها دالس . وهكذا ، فان ناظر الخارجية الاميركية قد أظهر بوضوح انه يعتزم الاضطلاع بقيادة الحلف المحتضر . ولاجل التأكيد على دور الولايات المتحدة الجديد ، وافق دالس على ان تعقد الدورةالقادمة في واشنطن . وذلك ما جعل كثيرا من المراقبين يعتقدون بأن واشنطن سوف تكف عن لعبتها ، وستنضم الىالحلف . لكن دالس كان يريد أن يرمم الحلف بصورة أخرى .

لقد أبرزت أحداث العراق بصورة بديهية وجود ثغرة خطيرة في الاتفاقية العسكرية بين انقرة وبغداد ، أساس الحلف : وهي ان هذه الاتفاقية كانت تنص فقط على الدفاع الجماعي ضد المعتدي الخارجي . وقرر دالس مداواة ذلك . فاقترح على ايران والباكستان وتركيا عقد اتفاقيات عسكرية ثنائية مع الولايات المتحدة . وبموجب هذه الاتفاقيات ، الموقعة في اذار ١٩٥٩ ، تعهدت الولايات المتحدة بتقديم مؤازرة للحكومات الثلاث ، ليس فقط في حالة العدوان الخارجي ، بل ايضا ازاء « اعتداء غير مباشر » (المقصود : « انتفاضة شعبية ») . ونصت هذهالاتفاقيات على امكانية نزول قوات اميركية في أراضي هذه الدول .

وكان يمكن ان تدرج الضمان ضد « العدوان غير المباشر » في نص حلف بغداد ، لكن الولايات المتحدة كانت تطمح الى اقامة اتصالات مباشرة مع البلدان الاسلامية الثلاثة من وراء ظهر بريطانيا . لا سيما وان هذهالاتصالات كانت ترفع النفوذ الاميركي بين البلدان الاعضاء في الحلف ، دون ان تنضم الولايات المتحدة اليه . وقد كتبت جريدة « النيويورك تايمس » بأن البلدان الاعضاء قد قبلت الولايات المتحدة بدلا من العراق . وأنزلت بريطانيا ، منذ ذلك الحين ، الى المرتبة الثانية .

وأجريت آخر لمسة في عملية ترميم حلف بغداد بتغيير اسمه : فمنذ عام ١٩٥٩ ، أصبح اسمه « منظمة المعاهدةالمركزية » مما يؤكد وضعه الجغرافي الوسيط بين حلف شمالي الاطلسي وحلف جنوب شرقي آسيا .

كان الموضوع الرئيسي للاستشارات الدائبة بين الحكومتين البريطانية والاميركية ، في الايام الاخيرة » ، « العراق هو كل شيء ، ولبنان ليس شيئا » . ان عبارة ألسوب هذه كانت تكشف غرض التدخل المسلح من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا .

ومع ذلك اضطرت الدولتان للتخلي عن العملية ، التي كانت تشبه كثيرا الحملات التأديبية في القرن التاسع عشر . وقد استثار نزول القوات الانكلو اميركية في لبنان والاردن السخط في العالم بأسره ، بما في ذلك داخل منظمة الامم المتحدة . وقد أعلن الاتحاد السوفياتي عن عدم استطاعته البقاء مكتوف الايدي اذا هوجمت الجمهورية العراقية .

الترميم بدلا من الدفن

تجاه معارضة قوى السلم ، تخلت الولايات المتحدة وبريطانيا عن مشروعهما بالتدخل في العراق . ان اعادة النظر في سياستهما كانت تفرض نفسها . ويا للاسف ! فان الحس السليم هما أقل ما يهتم به السياسيون الغربيون .

غداة الثورة العراقية ، جرى في لندن تمثيل مهزلة مضحكة : فبدلا من دفن حلف بغداد ، عقدت جلسة لمجلسه . وعشية ذلك ، صدرت طائفة من الاحتمالات حول مصير الحلف . وكانت لندن تقترح الغاءه وعقد اتفاقية جديدة بين الباكستان وتركيا وايران ، هذه الاتفاقية التي ستنضم اليها بلدان أخرى . وكان دالس يرى في ذلك وصمة عار بالنسبة للغرب . وكان يصر على بقاء الحلف . وبقي العثور على مقر جديد لقيادته العامة ، الذي نقل الى أنقره .

لقد أحدثت الثورة العراقية قلقا كبيرا في الاوساط الحاكمة بايران والباكستان . وكان سخط الرأي العام في هذين البلدين ازاء السياسة الحكومية ذات النزعة الممالئة للغرب وازاء الاشتراك في حلف بغداد كبيرا بصورة خاصة . وكان وزراء خارجية هذه البلدان الذين جاؤوا لحضور دورة لندن شديدي العبوس . وكانت حكومة مندريس وحدها ، التي كانت تريد ان تكون

من أحد أعضائه ومن أساسه الحقوقي .

كان العراق الحلقة الوحيدة الضعيفة التي استطاع الامبرياليون الامساك بها للتدخل في شؤون الجامعة العربية لاجل نسفها من الداخل . وكان من شأن انشقاق جبهة البلدان العربية ، المعادية للامبريالية ، أن يتيح للبلدان الغربية ادخال دول العرب تدريجيا في حلف بغداد . وأحبطت الثورة العراقية هذه الخطط . وكانت تصريحات الحكومة الثورية حول دعم مبادىء باندونغ واقامة علاقات اخوية مع جميع البلدان العربية ، بما في ذلك الجمهورية العربية المتحدة ، تشهد بأن العراق يخرج من مدار الغرب وينتقل الى معسكر الدول المحايدة ، غير المنحازة .

لقد أبرزت انتفاضة بغداد « فقر الدم » التام لهذا الحلف ، وعجزه عن درء الاحداث التي انشىء لاجل درئها . وهكذا ، فقد كان أحد أهداف الحلف سيطرة الغرب على العراق وعلى موارده النفطية . وظهر ان حلف بغداد عاجز في هذا الصدد .

في زمن السلم ، كان الجهاز الرئيسي للحلف هو لجنة « النشاطات الهدامة » المكلفة باضطهاد المنظمات القومية والشخصيات المعارضة للانظمة التي تدعم حلف بغداد . ونظرا لان اللجنة كانت بقيادة اميركيين ، فقد أصبحت فرعا لوكالة الاستخبارات الاميركية في الشرق الاوسط . واعتقل بعض عملائها في الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق (بعد ان انسحب هذا البلد من الحلف) .

والحال ، فقد حدثت في بغداد انتفاضة عام ١٩٥٨ ، التي كانت تختمر منذ عدة سنوات تحت أنف اللجنة . ولم تكن تلك ثورة قصور : فجميع الاحزاب السياسية العراقية ، تقريبا ، قد اشتركت في اعداد الثورة. وهذه الاحزاب كانت مرتبطة بالعناصر القومية في الجيش بقيادة عبد الكريم قاسم .

كان رد الفعل الاول من جانب الدول العربية الرغبة في اعادة « الاستقرار » بالقوة . وفي اليوم التالي ، أنزلت الولايات المتحدة قواتها في لبنان ، وبريطانيا في الاردن . وأقيم راس جسر لمهاجمة العراق الثوري . وقد قال جوزيف السوب في جريدة النيويورك هيرالد تريبيون « ليس لبنان ، بل العراق هو الذي

أوهام خائبة

بعد تجديد عمادة الحلف ، قررت الولايات المتحدة تنشيط أعمال لجنته الاقتصادية . وأخذت الصحافة الغربية تتحدث منذ ذلك الحين قليلا جدا عن استعدادات السنتو الحربية ، مع المبالغة في اظهار وجهه الاقتصادي . ولم يكتف بالدعاية ، بل زادت الولايات المتحدة زيادة محسوسة المبالغ المخصصة للمشاريع الاقتصادية للبلدان الاسلامية في اطار السنتو . وكانت تريد بذلك ان تحث تركيا والباكستان وايران لمضاعفة نشاطاتها في هذه المنظمة العسكرية المعاد ترميمها .

كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تدرك ادراكا تاما أن الطعم الاقتصادي قد لعب دورا من الدرجة الاولى في تشكيل حلف بغداد . وقد وعدت الحكومة التركية والايرانية والباكستانية بامتيازات لدى القسمة السنوية لقطعة الحلوى ، وكانت السمكة تأكل دائما تلك الصنارة .

ان باكستان ، وتركيا ، وايران ، هي بلدان متخلفة ، تستثمرها منذ سنين بعيدة الدول الغربية . وصناعتها ضعيفة التطور ، وصناعتها الثقيلة لا وجود لها . ولاجل الحصول على الاستقلال الاقتصادي ، تحتاج الى مصانع ، ومحطات لتوليد الكهرباء . والحال ، فلاجل بناء هذه المؤسسات ، يلزم مال كثير ومساعدة تقنية . ان الامل بمساعدة اقتصادية من الغرب قد جعلت تلك البلدان ترفض التعاون الاقتصادي ، بل وحتى التجارة ، مع العالم الاشتراكي . وكانت تركيا والباكستان بين تلك الدول الاكثر تمسكا بهذا النهج في السلوك ، الذي تمليه واشنطن .

بضع سنوات مرت منذ تأسيس السنتو . ولا يمكن الانكار بأن تركيا وايران والباكستان قد حققت بعض النجاحات الاقتصادية . ونجاحاتها مؤكدة في الصناعة والزراعة ، وعلى الاخص في النقليات والاتصالات عن بعد .

بيد ان ثمة واقعا اخر لا يمكن انكاره : وهو ان نجاحاتها الاقتصادية كان يمكن ان تكون أسرع لو لم تكن مشتركة في السنتو . لننظر الى وضع تركيا . فهي ، بعد أن أصبحت ملحقا

للماكينة الحربية الامبريالية ، تنفق على جيش يبلغ عدد أفراده ٥٠٠ ألف رجل ، واكثر من ٤٠ ٪ من موارد ميزانيتها تذهب الى بند « الحرب » . وايران والباكستان تضطلعان بعبء مماثل .

ان تركيا وايران والباكستان هي ، حقـــوقيا ، دول ذات سيادة . لكن ذلك لا يمنع من ان اقتصادها موجود تحت سيطرة الاحتكارات الاجنبية ، وسياستها وقواتها تحت سيطرة السنتو. وهاكم مثلا على ذلك : ان تركيا تملك مكامن هامة للنفط . الا ان الاحتكارات الغربية تعرقل استثمار هذه المكامن . وذلك ما يدفع تركيا الى استيراد النفط بدفع سعره مضاعفا ثلاث مرات .

وهكذا فان ايران والباكستان تشتري سلعا مصنوعة مـن الولايات المتحدة وبريطانيا والجمهورية الاتحادية الالمانية . وترفع الاحتكارات الغربية أسعار سلعها وتخفض سعر المواد الخـــام المقدمة من قبل شركائها . وقد كتبت جريدة « **ليدر** » الباكستانية بأن الشركات الغربية قد خفضت في السنوات الاخيرة بمقـدار ٣٠ ٪ سعر المواد الاولية الباكستانية ، مع رفعها بمقـدار ١٦ ٪ اسعار الالات والتجهيزات الصناعية المصدرة . والنتيجة : من عام ١٩٥١ الى ١٩٦١ ، بلغت خسارة باكستان ٦٦٢٠ مليون روبية أي اكثر من مليار دولار .

ان تركيا وباكستان وايران لا تتمكـــن من موازنة تجارتها الخارجية . فالعجز في الميزان التجاري لتركيا كان بمقدار ١٣٣٨ مليون دولار (في الاعوام ١٩٥٦ ــ ١٩٦٤) أي ما يعادل كل المساعدة الاميركية . ومن عام ١٩٥٥ الى ١٩٦٣ ، اشترت ايران من الخارج بـ ٣٥٨٤ مليـون دولار ، وباعت له بـ ٨١٠ ملايين و ٢٠٠ ألف دولار . وأرادت الحكومة ان تعيد التوازن بفضـل بيع البترول ، لكنها ظلت تفتقر الى ٧١٨ مليون دولار ، وقـامت بالاقتراض . ولا يكف العجز في الميزان التجاري الباكستاني عـن الازدياد : فقد كان ١٢٦٥،٧ مليون روبية في السنة المالية ١٩٦١ ــ ١٩٦٢ ، و ١٧٨٥،١ مليونا عام ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، و ٢٤٣٠،٢ مليونا عـام ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ .

ومفهوم ان اقتصاد بلد ذي تجارة خارجيـــة تعاني عجزا واسعا لا يمكن ان يتطـــور بنجاح . وهـــذا العجز يحسم من

التراكمات التي يمكن توظيفها في الاقتصاد . وقد نقص تركيا ، في عام ١٩٦٥ ، لاجل تمويل مشروع التطوير الاقتصادي للبلاد ، ١٥٠ مليون دولار ، أي ما يعادل تقريبا الخسائر التي سجلتها التجارة الخارجية خلال ستة أشهر من العام السابق .

وتركيا وايران وباكستان هي داخل براثن الدين الخارجي . وقد بلغ دين تركيا ، عام ١٩٦٤ ، ٩٨٦ مليون دولار . ولاجل وفاء هذا الدين ، يلزم أكثر من ١٠٠ مليون دولار سنويا . فهل يستطيع بلد مثل تركيا ان يجمع هذا المبلغ ؟ وهل تستطيع أن تطور صناعتها في هذه الظروف ، لا سيما صناعتها الثقيلة .

منذ أن أصبحت أعضاء في السنتو ، لم تبن تركيا وايران والباكستان مؤسسة واحدة للصناعة الثقيلة . ان الشركات الغربية لا مصلحة لها في الاستقلال الاقتصادي لبلدان اسيا ، والاحتكارات تفيد من هذا التخلف . ذلك لان الغرب يستطيع في هذه الشروط فقط ان يتاجر مع هذه البلدان على اساس مبادلات غير متكافئة ، أي نهب هذه البلدان .

أما المساعدة الاقتصادية في اطار السنتو ، فلها دلالتها تماما . ففي الدورة الثالثة عشرة للمجلس ، التي عقدت في نيسان ١٩٦٥ ، قيد لحساب المنظمة انشاء شبكة دائمة من الاتصالات عن بعد وانشاء مرافىء وسكك حديدية وطرق سيارات ذات أهمية استراتيجية . ان النقليات والاتصالات عن بعد تسهم ، طبعا ، في التقدم الاقتصادي ، لكن البلدان المذكورة تحتاج ، قبل كل شيء ، الى صناعة وطنية ، وقد تبين في هذا الميدان ان التعاون مع الغرب ، سواء في اطار السنتو أو خارجه ، مخيب الى أبعد حد .

لقد دفعت تركيا وايران والباكستان ثمن انضمامها الى الاحلاف تدهور حالتها الاقتصادية ، وازدياد دينها الخارجي ، واضفاء الطابع العسكري على اقتصادها ، وافتقار الشعب ، وازدياد تبعيتها للاحتكارات الاجنبية .

ولا يجهل الرأي العام في هذه البلدان ان البلدان غير المنحازة التي تتعاون مع الشرق والغرب ، قد سجلت نجاحات وتقدما كبيرا في التطور الصناعي . وهكذا ، فقد أنشأت الهند

صناعة تعدين وطنية ، وهي تبني مصانع للماكينات ـ الادوات ، ومحطات قوية لتوليد الكهرباء . وتنتج الجمهورية العربية المتحدة سيارات وبرادات وأجهزة تلفزيونية ، وراديوات ترانزيستور . ويجري تشييد سد أسوان على النيل . وتملك الجمهوريةالعربية المتحدة مصافي للبترول ، ومعملا للكوك ، الخ . وقد عرفت افغانستان هي أيضا نجاحات محسوسة ، مع انها كانت منذ عشر سنوات فقط أحد البلدان الاكثر تخلفا في الشرق الاوسط .

وهكذا فان الوقائع تنسف اذن خرافة اخرى قامت باشاعتها الدعاية البريطانية والاميركية ، وهي أن التعاون في اطار السنتو سيحل المشاكل الاقتصادية للبلدان الاسلامية الاعضاء . وخوفا من خطر موهوم ، من جانب الاتحاد السوفياتي ، علقت هذه البلدان في شبكة عبودية حقيقية نحو الولايات المتحدة وبريطانيا .

وقد كتبت جريدة « **أكسام** » التركية بهذا الصدد تقول ان « الدول الامبريالية كانت تهز دائما الفزاعة الروسية لكي تستثمر ، بصورة أفضل ، الشعب التركي الذي كان يريد النهوض، والطيران بجناحيه هو نفسه » ، وتلك هي ايضا حال الشعبين الايراني والباكستاني .

منذ سنين ، وتركيا وايران يراودهما الوهم بالتحرر من التبعية الاقتصادية للغرب بواسطة الغرب نفسه . لكن هذه الاوهام قد تبددت ، وظهرت سياسة الغرب ، وبالدرجة الاولى سياسة الولايات المتحدة ، على حقيقتها . لقد كتبت جريدة « **جمهوريت** » التركية « ليست اميركا صديقا مخلصا : بل هي مستثمر ذكي ، وقلب بارد ، وعقل حسابي . لقد أفسدت أشخاصا كثيرين ، وأخضعت تركيا بوسائل مختلفة » .

الجليد يبدأ بالذوبان

لم يسبق لسياسيي الغرب ذوي البصيرة أن آمنوا أبدا بمتانة السنتو . والواقع ، ان أسس هذه المنظمة كانت شديدة الهشاشة . ومن هذه الاسس الاكذوبة بأن الاتحاد السوفياتي

يعتزم مهاجمة جيرانه الجنوبيين لاجل « نشر الشيوعية » . ولدى انشائهم السنتو ، لم يكل دالس وعملاؤه من التلويح بهذا الخطر أمام الاوساط الحاكمة وشعوب الشرق الاوسط .

وسرعان ما دمرت الحياة هذه الاسطورة . فقد كانت السياسة العملية ، وجميع اعمال الاتحاد السوفياتي ، تبرهن على ان سياسته الخارجية ترتكز على مبادىء الصداقة بين الشعوب ، والتعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

ويتمسك الاتحاد السوفياتي ، بصورة خاصة ، بعلاقات حسن الجوار مع البلدان المجاورة له ، حيث يرى في ذلك احدى ضمانات سلامته هو نفسه . ويرى الاتحاد السوفياتي ان علاقاته مع البلدان المجاورة يجب ان ترتكز على عدم التدخل في شؤونها الداخلية ، وعلى احترام السلامة الاقليمية والتعاون المتبادل النفع . وفي حين أعلنت الولايات المتحدة انها لا يمكن ان تقبل في نصف الكرة الغربي انظمة لا تروقها ، يبرهن الاتحاد السوفياتي عن تسامح ازاء بلدان مجاورة يختلف نظامها الاجتماعي عن نظامه . وبلاد السوفيات تتمسك في علاقاتها مع جيرانها بالمبدأ التالي : نحن نسكن جنبا الى جنب ، لذلك فيجب ان نعيش في سلام . اما نمط معيشة كل منا فهو كما يلي : « لا نقاش في الاذواق والالوان » .

ولننظر الى الهند وأفغانستان وفنلندا . فبالرغم من نظامها الاجتماعي المختلف ، فهي تمارس مع جارها الاشتراكي علاقات ودية وتتعاون معه تعاونا مثمرا . وهي لا تجد نفسها مجبرة على عقد محالفات عسكرية مع أي كان ، ولا اشتراك بنفقات كبيرة في الكتل العسكرية ، ذلك لان لها ثقة بالروح السلمية للاتحاد السوفياتي . وهذه الدول تنبذ المزاعم الكاذبة للدعاية الغربية حول « عدوانية » الاتحاد السوفياتي . وهي ترى ، عن حق ، بأن هذه المزاعم لا تهدف الا لهدف واحد ، وهو نشر الشقاق بينها وبين الدولة الاشتراكية الاولى .

وهذا لا بد أن ينعكس ، عاجلا أم آجلا ، على سياسة تركيا وايران والباكستان . وقد أدركت هذه البلدان بأن موقفها المعادي ازاء الاتحاد السوفياتي لا يستجيب لمصالحها الوطنية ، وان هذا

العداء ليس له أي مبرر . وبدأ جليد الريبة يذوب ، وارتسمت بوادر تقارب ، ومحل حالات سوء التفاهم بالامس حل تعاون عملي.

لقد قدر الاتحاد السوفياتي تصريح شاه ايران بأن بلاده لن تكون ابدا نقطة انطلاق للاعتداء على جارها الشمالي .

وقد حفزت التقارب بين الاتحاد السوفياتي وجيرانه الجنوبيين الزيارات التي قام بهـــا ، في عام ١٩٦٥ ، شاه ايران ، والرئيس الباكستاني ، ورئيس الوزراء التركي ، للاتحاد السوفياتي . وقد تحدثت صحيفة **كيهان انترناسيونال** الايرانية بوجه خاص بعـــد زيارة الشاه عن عهد جديد في العلاقات بين طهران وموسكـو ، هذا العهد « القائم تحت شعار السلم والصداقة والتعاون » . وأعلن الرأي العام التركي والباكستاني تصريحات مماثلة ، ممـا يسمح بالتفكير بأن هذه البلدان تملك ، منذ اليوم ، شروطا ملائمة لتطوير العلاقات الودية مع الاتحاد السوفياتي .

منظمـة عابرة

ان السنتو ، دون ان يعطي شيئا لاقتصـــاد تركيا وايران وباكستان ، قد جعل من هذه البلدان أتباعا للولايات المتحـدة ، وأداة في أيدي الامبريالية العدوانية والسنتو يعرضها لخطر حرب ابادة نووية .

ان الشعوب التركية والايرانية والباكستانية ، شأن الشعوب الاخرى ، ليست بحاجة الى الحرب . وليس ثمة نزاع لا يمكـن حـله سلميا . والحـال فان الامبرياليين ، المخلصين لسياستهم العدوانية ، المستوحاة من حقدهم على الاشتراكية وحركة التحرر ، يمكن ان يجروا حلفاءهم في السنتو الى مغامرة عسكرية ، بل الى حرب نووية . ويدرك النـــاس ذوو البصيرة في تركيا وايران والباكستان ، ادراكا تاما ، ان نزاعا عالميا سيكون مشؤوما عـلى بلادهم ، المتحالفة مع الولايات المتحدة وبريطانيا .

ان حادثة الطائرة الاميركية « يو ـ ٢ » بقيادة الجـاسوس باورز ، قد فتحت أعين أولئك الذين كانوا لا يزالون يشكون في ان الولايات المتحدة تستهزىء بسلامة شركائها . فقد كانت قاعدة

وغني عن القول ايضا بأن « استراتيجية الجزر » ، شأن السنتو ، لن تمكـــن الامبرياليين من خنق حركة التحرر الـــوطني . ان الاستعماريين في الشرق الاوسط يلعبون على خسارة . فما من كلب حراسة ، ولا كتلة عدوانية او قاعدة عسكرية ، بوسعهـا ان تضمن للاحتكارات الغربية الملكية الابدية لينابيع النفط في هذه المنطقة من العالم . ولم يعد بعيدا اليوم الذي ستصبح فيه جميع شعوب الشرق الاوسط المالكة المطلقة لثرواتها الطبيعية .

لا يجري حل السنتو ، بكل بساطة ، أو تحويله الى مجرد تحالف بريطاني ـ اميركي ايراني . وأردفت تابوي تقول : ومع ان تركيا والباكستان قد وافقت على عدم اعلانهما رسميا خروجهما من المنظمة ، فان هذه معرضة كثيرا للتفكك .

وتلك نبوءة أكدت في أيلول ١٩٦٥ حين استدعت الباكستان أغلب ممثليها من القيادة العامة للحلف في أنقره . والباكستان لم تعد ممثلة في هذه القيادة الا بضابط واحد . وتبدي الصحافة الغربية خشيتها من ان تؤدي اعمال الباكستان هذه الى « اغراق منظمة المعاهدة المركزية » .

لكن السنتو ما يزال قائما ، ويجهد الامبرياليون لتنشيطه مجددا . ان النزاع العسكري الذي اندلع في شهر ايلول ١٩٦٥ بين الهند والباكستان كان نفحة منعشة طيبة للسنتو المحتضر . وقد أعلنت ايران وتركيا تضامنهما مع الباكستان ، التي سلمتاها قسما من الاسلحة المقدمة من قبل الولايات المتحدة في اطار السنتو . بل وقد تحدثت تركيا عن منح الباكستان مساعدة عسكرية مباشرة .

ان محاولات استخدام السنتو لدعم الباكستان عسكريا لم تؤد الا الى تسميم الجو في آسيا . وكانت مصالح الشعبين الهندي والباكستاني تقضي بأن يسوى النزاع بوسائل سلمية ، ولم يكن بوسع نشاطات السنتو الا تعميق الخلافات . وقد تبين ، مرة اخرى ، بأن السنتو ليس مطلقا أداة للسلم ، بل انه أداة للحرب ، وهو في زمن السلم ينطفىء ، وفي زمن الحرب ، يستعيد قواه .

وحتى محركو ومؤسسو السنتو ، بريطانيا والولايات المتحدة ، كفتا عن الايمان بهذا الحلف العسكري وهما تبحثان عن بديل له . وبعد دورة طهران ، أعلنت الصحف رغبة الولايات المتحدة وبريطانيا في انشاء منظومة من القواعد ، القائمة في الجزر ، ابتداء من ساحل افريقيا الشرقي ، حتى الهند الصينية ، معدة لحماية « اصدقاء الغرب في الشرق الاوسط ضد كل معتد شيوعي » . وغني عن التأكيد انه يقصد بذلك شعوب الشرق الاوسط المناضلة من اجل استقلالها الاقتصادي والسياسي :

الـ « يو ـ ٢ » قائمة في تركيا . ثم نقلت الى الباكستان ، ومن هناك انتهكت المجال الجوي السوفياتي . ولم تكن تلك أول طائرة تجسس ترسلها وكالة الاستخبارات الاميركية الى الاتحاد السوفياتي ، وبعد أن أسقطت طائرة باورز ، وأثبتت أهدافها التجسسية ، حذرت الحكومة السوفياتية تركيا وباكستان ، منبهة اياها الى ان الاتحاد السوفياتي لن يتوقف عن أي تدبير رادع ، حتى وبما في ذلك مهاجمة قواعد هذين البلدين ، اذا لم يكف عن استخدامها لاغراض تجسس واستفزازات ضد الاتحاد السوفياتي .

ونظرا لان الاشتراك في السنتو غير ملائم اقتصاديا، ويربط تركيا وايران والباكستان بالسياسة الخطرة للولايات المتحدة ، فان هذه البلدان تزداد اقتناعا باستمرار بضرورة الخروج من التبعية لاميركا ، وانتهاج سياسة مستقلة . والحال ، فلا يمكن القيام بذلك الا بالخروج نهائيا من حلف السنتو .

لقد كتبت صحيفة **يون** التركية الاسبوعية بأن على تركيا اعادة النظر في سياستها والعثور على « طريق ثالثة » بالابتعاد عن اميركا والتقارب مع الاتحاد السوفياتي . والجريدة تدعو عمليا لانتهاج سياسة حياد .

في تشرين الثاني ١٩٦٥ أصدر ١٢٠ أستاذا من جامعة اسطنبول بيانا يطالب بتغيير جذري للسياسة الخارجية التركية من اجل احراز الاستقلال ازاء الولايات المتحدة .

ان استياء البلدان الاعضاء في السنتو والكتل العسكرية الاخرى يتجسد كذلك بتظاهرات معادية للاميركيين . وفي تموز عام ١٩٦٥ ، شهدت دكا (باكستان) تظاهرة طلابية تطالب « بأن يخرس السنتو وحلف جنوب شرقي آسيا » .

ان الاوساط الحاكمة في تركيا والباكستان ، والى حد ما الاوساط الايرانية ، تعيد النظر هي ايضا في موقفها ازاء السنتو. فالجو المتوتر الذي عقدت فيه ، في نيسان ١٩٦٥ ، دورة طهران لمجلس السنتو ، تشهد باستياء هذه البلدان . وقد كتبت مدام تابوي ، الصحفية الفرنسية الشهيرة ، بأن ناظر الخارجية الاميركية دين راسك وزميله البريطاني ستيوارت ، قاما بجهود هائلة لكي

فهرس

صفحة

نشوء حلف بغداد ٦
سراب « قيادة الشرق الاوسط » ٦
الولايات المتحدة تعيد بريطانيا الى المرتبة الخلفية ٨
« المرحلة الاولى للدفاع » ٩
حلف بغداد ١٢
ميثولوجية السنتو ١٦
بمبادرة من الغرب ١٦
تحالف الفارس والمطية ١٦
فرع لمنظمة حلف شمالي الاطلسي ١٩
الخرافة الاشد خطرا ٢١
كلب حراسة لملوك البترول ٢٥
مصدر الارباح المفرطة ٢٥
ضحايا « الهجوم على الذهب الاسود » ٢٧
مشكلة ليست كذلك ٢٩
براثن السنتو ٣٠
الانهيار ٣٤
حلف بغداد بدون بغداد ٣٤
الترميم بدلا من الدفن ٣٦
اوهام خائبة ٣٨
الجليد يبدأ بالذوبان ٤١
منظمة عابرة ٤٣